الإنتاج السينمائي الجزائري المشترك بين أمس مشرق وحاضر باهت

عبد الكريم قادري

العديد من التساؤلات باتت تُطرح حول الجدوى الفنية التي تجنيها السينما الجزائرية من الإنتاج المشترك للأفلام، خصوصا وان وزارة الثقافة الجزائرية أعلنت صراحة عن تبنيها هذه الرؤيا كخيار ستراتيجي، والدليل ما أُنتج حاليا وعُرض، وما ينتظر العرض، وما سينتج مستقبلا، وفي ظل هذه المعطيات وجب أن نطرح جملة من الأسئلة المحورية، عن مدى جدوى هذا الخيار، وانعكاسه على القيمة الفنية للقطاع السينمائي الجزائري، وإثراء تجربة الصنّاع المحليين، عن طريق الاحتكاك المباشر بينهم وبين نظرائهم الأجانب، لكسب التجربة والخبرة.

ناهيك عن القيمة الحضارية التي يمكن أن يعكسها ما يتم إنتاجه، سواء لخدمة قضية أو توجه جزائري، أو حتى إنسانية، وفي ظل هذه القيم المتعددة، تأتي التساؤلات التالية، التي يفرضها الواقع السينمائي الجزائري في ظل هذه الشراكة، ما هي القيمة النوعية التي حققتها الأفلام المنتجة بالشراكة، هل تم عكس صورة الجزائر من خلالها؟، من هو الممثل أو المخرج، أو الصانع المحلي الذي نضجت فكرته من هذه التجارب وانطلق في حرفته يشق الآفاق؟، ما هي عناوين الأفلام التي دعمتها الجزائر ماديا، ونجحت إعلاميا أو جماهيريا، أو فنيا، سواء في شباك التذاكر، مشاركاتها في المهرجانات الدولية، أو حصيلة الجوائز والتكريمات، الإجابة على كل هذه التساؤلات طبعا لن تكون قطعية، لكنها للأسف مخيبة للآمال، وفي الكثير من الأحيان صادمة جدا، وهذا الأمر ينطبق على السينما الحديثة طبعا، في ظل النتائج الهزيلة والمخيبة التي تجنيها، ويعود هذا إلى غياب الرؤيا الفنية الثاقبة، التي يمكن لها أن تحدد وتختار السيناريوهات الجادة، لتعطي دفعا للسينما الجزائرية، وتقدمها عالميا، وهذا على عكس تجارب سنوات الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، التي كانت ثرية ومفيدة جدا في مجال الإنتاج المشترك ومشرفة حتى، وهذا ما عكسته الأفلام التي أنتجت في هذا الإطار، وتحولت إلى تحف سينمائية عالمية، على غرار فيلم "معركة الجزائر" الذي أخرجه الإيطالي جوليو بنتكرفو وتحصل من خلاله على الدب الذهبي من مهرجان "فنيسيا" العريق، وقد تم تصنيفه من بين أحسن 50 فيلما عالميا، و"زاد" لكوستا كافراس الذي جلب للجزائر الأوسكار، لتبقى الجزائر البلد العربي الوحيد الذي تحصل على هذه الجائزة، كما كانت هناك شراكة مع المخرج الكبير "اتوري سكولا" من خلال فيلم "الرقصة"، الذي حظي باستقبال عالمي حار، ونال عديد الجوائز والتكريمات، أهمها جائزة "الدب الذهبي" لأحسن مخرج في مهرجان برلين السينمائي، ناهيك عن ترشيحه لنيل جائزة أوسكار أفضل فيلم أجنبي باسم الجزائر طبعا، كما كان هناك تعاون آخر مع المخرج الايطالي "سيرجيو سبينا" في فيلم "الحمار الذهبي"، و"بجماليون للصليبيين" الذي أخرجه "ماريو مونيتشيلي"، أما من الجانب الفرنسي فهناك شراكات تمت بحذر وقتها، من بينها الفيلم الشهير "إليز أو الحياة الحقيقية" الذي أخرجه "مشيل دراش"، وفيلم "أجمل الاعترافات" "لإدوارد مولينارو"، و"إصبع في الترتوس"، أما على المستوى العربي فمن بين عديد التجارب، جاء أهمها مع أفلام المخرج المصري الكبير يوسف شاهين، في أفلام "العصفور"، "عودة الابن الضال"، "اسكندريه ليه"، وباتت تعد من عيون السينما العربية، بالإضافة إلى فيلم "أغنية الوداع" الذي لعب فيه دور البطولة المطرب عبد الحليم حافظ، ناهيك عن العديد من التجارب الأخرى التي أدخلت الجزائر إلى العالمية، وقدمت صورة مشرفة ومهمة عنا.

من هنا يمكن أن نخرج بنتيجة، وهي أن المشرفين على مشاريع الإنتاج المشترك الحالي، يفتقدون إلى الرؤيا الواضحة في دعم هذه المشاريع، لهذا جاءت بدون أي قيمة فنية، ولم تقدم للسينما الجزائرية ولا شيئاً، فقط تم تفريغ خزانة القطاع السينمائي من المال العام وتوجيهه للاجدوى، وبالتالي المساهمة في موت السينما الجزائرية من جديد،

فوائد بأثر عكسي

يمكن وضع "الإنتاج السينمائي الجزائري المشترك" ضمن مرحلتين مهمتين، واحدة تعكسها الثلاثين سنة الأولى من بعد الاستقلال، إذ كانت المؤسسات الرسمية في هذه المرحلة تمتلك النظرة الاستشرافية الفنية، وبالتالي أنتجت أفلاما بمقاييس عالمية، لأنها اعتمدت على مبدأ المهنية من قبل الأطراف الفاعلة، والرقابة والمساءلة من قبل الجهات المشرفة – أي مراقبة ومساءلة كل من وافق او ساهم في انتاج مشروع سينمائي ولم يحقق اي مردود فني أو ثقافي للجزائر-، وهذا ما جلب للجزائر أهم الجوائز العالمية، لكن بالمرحلة الثانية التي يمكن حصرها من بداية الألفية الثانية الى اليوم، لم يتم تحقيق أي مردود فني، في ظل غياب المهنية والاحترافية أصبحت أموال الجزائر توزع هنا وهنا عن أفلام لا تقدم أي قيمة فنية أو حضارية للجزائر، والدليل خذ مثلا فيلم "بن باديس" للمخرج السوري باسل الخطيب، ما القيمة الفنية التي قدمها للجزائر، لماذا لم يقبل في أي مهرجان سينمائي، رغم أن هناك العشرات من لجان المشاهدة، وهذا ما يمكن أن نقوله عن فيلم "أوغستين ابن دموعها" للمخرج المصري سمير سيف، إذ لم يقدم الفيلم أي قيمة، لا فنية ولا حتى تاريخية، وهذا لغياب المهنية من قبل الجهات التي اقترحت أو وافقت على هذا العمل، يكفي فقط مشاهدة فيلم المخرج الكندي "كريستيان دوغواي" والتعمق في صور الفيلم وإطاراته، وقراءة اعترافات القديس اوغستين، ناهيك عن العديد من الأبحاث الأخرى، وعقد مقارنة بينهم، لتعرف بأن هناك مغالطات كبرى، حيث تحولت تاغاست وهيبون إلى هامش، وقرطاج إلى متن، ناهيك عن المغالطات التاريخية المتنوعة، يعني نحرف تاريخنا بمالنا الخاص، ومن هنا يجب أن نقول بأننا لم نشترك إلا في الفشل، ومن جهة أخرى هناك من يشكك في مشاريع الانتاج المشترك مع فرنسا، وعليه وجب القول بأن الأخيرة ليست ملاكا حتى تقوم برمي أموالها من أجل السينما الجزائرية، هم أذكياء يعرفون القيمة الحقيقية للسينما ودورها الاستراتيجي في زرع الأفكار والأهداف، لهذا يقومون بدعم الأفلام، من اجل تحقيق غاية ما، وليس بالضرورة أن تكون هذه الغاية ظاهرة لنا، إذ في الكثير من الأحيان لا يمكن اكتشافها بسهولة، ومن حقهم هذا، في ظل نظرتهم الإستشرافية لحماية مصالحهم، ومن حق المخرجين الجزائريين هم أيضا قبول هذا التمويل في ظل شح الموارد وتخصيصها لجهة على حساب أخرى، العيب الوحيد هو في النظام الثقافي الجزائري الذي لا يعي خطورة السينما وقوتها.

كلاكيت

■ علاء المفرجي

سينما الواقع الافتراضي قادمة

حسمت كامي لوباتو خبيرة تقنية الواقع الافتراضي في تصريحاتها للصحفيين في دبي السينمائي، الجدل الدائر بين عشاق السينما من أن سينما الواقع الافتراضي جاءت لتحل محل السينما التقليدية غير صحيح على الإطلاق وأن الاثنتين يمكن أن تسيرا جنباً إلى جنب.

فمخاوف البعض من سيادة هذه السينما هي مخاوف مشروعة لمسها محبو السينما في مراحل مختلفة من تطور هذا الفن بوصفه صناعة ابتداءً من اختراع الصوت والخشية من أن تتضاءل أهمية تعبيرية الصورة مع بروز الوصف والحوار، وليس انتهاءً بمنجزات التكنولوجيا الرقمية، وعلى جانب موازي الاختراع الاهم أعني التلفزيون.. لكن كل ذلك لم يستطع أن يزيح السينما من عرشها، بل على العكس اغتنت هذه السينما من خلال هذه الاختراعات واستطاعت ان تكمل شخصيتها وترسي تقاليد دأبت عليها.

وأفلام الواقع الافتراضي تعد خطوة نوعية في عالم الوسائط بسبب التطور التكنولوجي المضطرد الذي نتعامل معه ،والطفرة التكنولوجية الهائلة التي نعيشها، وانعكاسها على حياتنا اليومية، وقد وصل تطور الواقع الافتراضي والذي يشكل مرحلة جديدة من الترفيه في مجال صناعة الأفلام والسينما، بعد استخدامه في ألعاب الفيديو لفترة طويلة نسبيا تتجه السينما حالياً إلى دخول الواقع الافتراضي بقوة على الرغم من حداثة التجربة وبدايتها.

تقول لوباتو وهي مؤسسة شركة (إيفرغن سينما) والتي قدمت عروض سينما الواقع الافتراضي في مهرجان دبي السينمائي الدولي: (هذا مجال واعد ويتطور سريعاً، عملنا لسنوات على صناعة الشاشة المستطيلة وهو شيء جديد للغاية، وعلى مستوى المحتوى يعمل المخرجون والمصورون على تطوير أفلامهم بشكل أكثر ملاءمة للمشاهد عبر هذه التقنية).

وللعام الثاني على التوالي يطرح دبي السينمائي الدولي برنامج عروض سينما الواقع الافتراضي التي جذبت الكثيرين من رواد المهرجان وأغرتهم بخوض التجربة المختلفة.

ولمشاهدة هذه النوعية من الأفلام يضع المشاهد نظارات على عينيه ويغوص بمفرده في عالم مصور بكاميرا ٣٦٠ درجة ويبدأ في التفاعل مع ما يراه كأنه داخل هذا العالم الافتراضي.

وقالت لوباتو: «كنا هنا في العام الماضي وهذا هو عامنا الثاني بمهرجان دبي. كثير من المهرجانات اليوم تهتم بسينما الواقع الافتراضي، وسبق لنا الوجود في مهرجان البندقية في إيطاليا ومهرجان كان في فرنسا».

وعن قصر مدة الأفلام المقدمة في قسم سينما الواقع الافتراضي وعدم وجود أفلام روائية طويلة، قالت لوباتو: (تصوير الأفلام بكاميرا تصور محيطها بدرجة ٣٦٠ درجة أمر غير سهل بالمرة، عليك أن تخفي طاقم العمل والمعدات والإضاءة وتتحكم في المكان تماماً لأن الكاميرا ستلتقط كل شيء، لذلك تقتصر التجارب حالياً على الأفلام القصيرة).

وتابعت: (قبل سنوات قليلة لم يكن هذا النوع من الكاميرات متوافراً لذا تعين على المخرجين والمصورين أن يصنعوا كاميراتهم بأنفسهم. اليوم لدينا عدد قليل من هذه الكاميرات لكن الأبحاث مستمرة وجودة الأفلام تتحسن).

وتميز هذه التجربة في المشاهدة كما تقول لوباتو في أنها تمنح المشاهد ميزة التفاعل وحرية مشاهدة الفيلم من الزاوية التي يحبها لا التي اختارها المخرج، لذلك يمكن أن يشاهد اثنان الفيلم عينه في الوقت ذاته لكن سيرى كل منهما الفيلم من زاويته الخاصة.

وعرض المهرجان في دورته الاخيرة مجموعة من تجارب الواقع الاصطناعي المثيرة من إسبانيا واليابان وبريطانيا واميركا، وغيرها.

للعام الثاني على التوالي يطرح دبي السينمائي الدولي برنامج عروض سينما الواقع الافتراضي التي جذبت الكثيرين من رواد المهرجان وأغرتهم بخوض التجربة المختلفة.

"السينما العراقية" إصدار جديد

صدر العدد الاول من مجلة (السينما العراقية) وهي مجلة تعنى بشؤون السينما العراقية تصدرها مجموعة السينما العراقية. وتضمن العدد جولة في السينما العراقية وشباك تذاكر السينما العراقية في شهر تشرين الاول 2017، وافلام كانون الاول، وعرضا لفيلم الرحلة،.وجاء بالتعريف في المجلة: ان المجلة تسعى لإثراء تجربة جمهورنا السينمائي لتعزيز تواصلنا سوية، وستقوم المجلة بالقاء الضوء بشكل مميز على الافلام الجديدة المعروضة في سلسلة دور عرض السينما العراقية من كل انحاء العالم، وتناول إنجازات صناعة السينما في العراق، والتي يرجع تاريخها لأكثر من 100 عام ، ونظرنا دائما سيكون دائما صوب مخاطبة شغف الجمهور بفن السينما وتنوع أذواقه.وتضيف افتتاحية المجلة : هذه خطوة أولى صغيرة في حسابنا، لكنها كذلك تحمل الكثير من الطموح للمساهمة في تطور صناعة السينما العراق واستعادة مكانتها مع خطتنا كسلسلة دور العرض للانتشار في كل العالم.

مأساة انتحار الكاتب ستيفان زفايج في فيلم يدخل ترشيحات الأوسكار

ترجمة: المدى

(ستيفان زفايج وداعاً أوروبا) هو عنوان الفيلم الجديد الذي يتناول مأساة انتحار الكاتب ستيفان زفايج وقد بدأ الناقد الفني لصحيفة الغارديان ستيوارت جيفريس مقالته عن الفليم بالاشارة الى العبارة التي قالتها ماريا شريدر، الممثلة الألمانية المعروفة "كل حادثة انتحار تخفي دائما سراً ورائها ، شيئاً ما مجهولاً لا تكشفه كل الأسباب والتفسيرات" وهي تتحدث عن موضوع الفيلم الذي قامت بإخراجه وتم ترشيحه لنيل جائزة الأوسكار.

غادر الكاتب ستيفان زفايج وطنه في عام 1934 مع صعود هتلر متوجها إلى لندن ومن ثم نيويورك واستقر أخيراً في بيتروبوليس، وهي بلدة جبلية تبعد 60 كم شمال ريو دي جانيرو التي أصبحت موطناً لمجموعة من المنفيين الألمان. في 23 شباط من عام 1942 وكان يبلغ من العمر حينها 60 عاماً عثر عليه منتحرا هو و زوجته الثانية لوت، 33 عاماً من قبل الخدم بعد تناولهما جرعة زائدة من المنومات

من الصعب أن نفهم على وجه الدقة لماذا قتل هذين الزوجين نفسيهما. وكان ستيفان زفايج قد انتهى لتوه من تأليف كتاب،بعنوان البرازيل: أرض المستقبل، يمتدح فيه وطنه الجديد.وتظهر زوجته لوتا، في أحد مشاهد الفيلم وهي تروي لأحد المرشدين الذي يريهم إحدى مزارع السكر لماذا تحب هي وزوجها الجنة البرازيلية: "هنا تعيش مختلف الأجناس معا بشكل طبيعي بحيث يبدو الأمر وكأنه معجزة بالنسبة لنا".

في مشهد آخر،يقف ستيفان زفايج وزميله المنفى الألماني على الشرفة وهما ينظران الى الببغاوات وهي تحلق فوق المناظر الطبيعية الاستوائية الرائعة. وهويقول "نادراً ما كنت أشعر بمثل هذه المتعة في الأشهر الثلاثة الماضية. لا شيء سوى العمل والمشي والقراءة. ليس لدينا أي سبب للشكوى ".فيوافقه صديقه جذلاً."

ولكن بعد ذلك يسقط قناع الطمأنينة. ستيفان زفايج ، الذي يؤدي دوره ببراعة الممثل الاميركي جوزيف هيدر كان حتى الآن رجلاً ساحراً ورقيقاً،ينظر بغضب نحو زملائه المقربين ، والدموع تترقرق في عينيه: وهو يقول "كيف يمكن للمرء أن يتحمل كل هذا؟"ا

ويبدو الأمر كما لو أن العيش في الجنة يجعل فقدانه لأوروبا الحبيبة أكثر صعوبة. ولكن ذلك لن يكون سوى شرح اختزالي لتفسير السبب الذي جعله يقتل نفسه بعد بضعة أشهر من هذا المشهد. للمخرجة شريدر بالتأكيد الحق في الاشارة الى أن كل حادثة انتحار تخفي ورائها أسراراً. ومن المحتمل إن المخرجين الأقل تمكنا منها كانوا قد سردوا موضوع الفلم منذ البداية وأرسلوا البطل بلا شفقة نحو مصيره المتوقع. ولكن المخرجة شريدر، بدلاً من ذلك، خلقت مساحة تسمح للكاتب أن يدفن معه سره النهائي.

في وقت وفاته، كان ستيفان زفايج واحداً من الروائيين الأكثر شعبية في العالم (باستثناء بريطانيا حيث كان دائما غير مقروء على نطاق

واسع). و نشرت أخبار وفاته على الصفحات الأولى من الصحف الأميركية جنباً الى جنب مع خبر اعلان الحرب من قبل الرئيس روزفلت. تقول المخرجة شريدر، التي تعتقد أن صدى مأساة انتحار زفايج كان يتردد بشكل غريب على مر السنين. "لقد فوجئت بجميع القضايا التي نتجت عن هذا القرار المزعج. كيف يمكنك التعامل مع عالم يتحول إلى التطرّف؟ هل هناك شيء أكثر قيمة من السلامة البدنية والسعادة الشخصية؟ خلال سنوات البحث والتقصي عند الاعداد لاخراج الفيلم لم يكن لدي أي فكرة عن مدى ملاءمة هذه الأسئلة لواقعنا اليوم –ولكن الامر أصبح واضحاً مع تزايد أعداد اللاجئين الهاربين من أوطانهم بحثا عن ملاذ آمن في أوروبا ".

و فيلم شريدر – الذي تم اختياره في القائمة القصيرة للأفلام المرشحة لنيل جائزة اكاديمية الفلم الأوروبي و بدأ يشتريه الموزعون في جميع أنحاء العالم (باستثناء المملكة المتحدة، كما اخبرتني شريدر) – يقدم على شاشات السينما ونحن نعيش أزمة لاجئين جديدة. وتشرح المخرجة ذلك قائلة "انه عكس ما حدث قبل 70 عاماً عندما غادر الملايين من الناس القارة. الآن يبدو أن أوروبا تقدم الأمل للكثيرين. إنهم يريدون أن يكونوا على الجانب الأيمن من البحر الأبيض المتوسط ". اليوم،تسعى ألمانيا على وجه الخصوص إلى أن تكوّن صورة جديدة عنها غير تلك التي عرفها الناس عنها أيام حكم هتلر،

لماذا تثير مأساة ستيفان زفايج اهتمامنا اليوم؟ أحد الأسباب هو أن التاريخ عادة ما يكتب من قبل المنتصرين ، وقصص المنفى غالبا ما تتحدث عن أولئك الغرباء الذين ازدهرت حياتهم في أراضي غريبة، أو على الأقل، لم يستنفذها فقدان الوطن لكن انتحار زفايج وفلم المخرجة شريدر قد يكونا بمثابة تصحيح لهذا الامر

. كتب ستيفان زفايج في رسالة انتحاره يقول :

... ان يبدأ المرء كل شيء من جديد بعد عامه الستين لهو أمر يتطلب ميزات خاصة، ولقد أستنفدت كل قواي بعد سنوات من التجوال بحثاً عن مأوى. ولذلك فإنني أفضل أن أنهي حياتي في الوقت المناسب، وأنا في أحسن حالاتي ، كرجل كان العمل الثقافي يمثل دائما بالنسبة له مصدر سعادته وحريته الشخصية –وهما أثمن ما يمكن أن يمتلكه الانسان على هذه الأرض.

■ عن: الغارديان